فى صورة مرتجلة فى مناسبات الحياه اليومية المختلفة التى تستدعى ارتجال الشعر ، ولكنهم يختلفون بعد ذلك حول هذا الرجز كيف كانت نشأته ، فمنهم من يذهب إلى أنه نشأ مرتبطا بحداء الإبل ، متسقا مع حركاتها الرتيبة المطردة فوق الرمال ، ومنهم من يذهب إلى أنه طهر متطوراً من السجع الذى كان كهان العصر الجاهلى يصوغون كلامهم وأقوالهم فيه ، والذى يعد أقدم القوالب الفنية التى عرفها العرب ، وهو مذهب يطمئن إليه بروكلمان اطمئنانا شديداً .

فنحن - إذن - أمام نظريتين تحاولان تفسير الموقف ، نظرية قديمة ترددت الإشارة إليها فى المصادر العربية منذ عصر التدوين ، ونظرية حديثة أخذت تظهر فى دراسات الباحثين المحدثين ، وهما نظريتان متباعدتان تباعدا شديداً نرجع إلى أنهما تفسران الموقف من خلال مجموعتين مختلفتين من النصوص ترجعان - كما سنرى - إلى مرحلتين مختلفتين من المراحل التى مر بها شعرنا العربى القديم .

ومنذ البداية نستطيع أن نلاحظ أن النظرية القديمة ليست حلا للمشكلة - ولا محاولة لحلها - ولكنها - فى وضعها الصحيح - محاولة لتفسير واقع هو فى كثير من جوانبه - واقع زائف لا أصل له . فمجموعة النصوص التى يتخذ منها القدماء صورة لأولية الشعرالعربى مجموعة يحيط بها الشك والاتهام ، وأكثرها منتحل موضوع صنعه الرواة فى عصر التدوين من أجل تفسير بعض المروبات الشعبية فى مراحل غامضة مجهولة من تاريخها ، أو من أجل تفسير أسماء بعض الأشخاص وما جرى على ألسنتهم من أمثال وحكم ، وما تناثر حول شخصياتهم من قصص وأساطير أريد بها - قبل كل شئ - إلى التسلية والسمر وادعاء العلم والرواية . ويكفى أن نلاحظ - تأكيداً لذلك - أن بعض هذه النصوص نرجع به الرواة إلى عصور سحيقة من تاريخ الجزيرة العربية ، وينسبونه إلى شعراء موغلين فى القدم ممّن عمروا - فى زعمهم - قرونا متطاولة نمتد بعضها إلى خمسة قرون ، بل إن بعضها يرتفع إلى سبعة قرون أو تسعة